تاريخ الدولة العثمانية

١٢٩٩ / ١٩٢٣

أستاذ المادة : أ.م.د.خالد سلمان شدهان

المرحلة : الثالثة

٢٠٢٣ / ٢٠٢٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحاضرة الاولى / تاريخ الدولة العثمانية / المرحلة ٣

نظريات أصول العثمانيين

قبل البحث في أصول العثمانيين ، يجب ان نبحث في الواقع السياسي للمكان الذي ظهرت فيها الدولة العثمانية ، وتحديدا دولة السلاجقة التي قامت على كيانها الدولة العثمانية في الاناضول ، إذ تنتسب دولة السلاجقة الى (سلجوق بن دقاق) ، نزحوا من مناطق تركستان الى المناطق المعروفة باسم ما وراء النهر ، وتابعوا توسعهم وسيطروا على سورية وفلسطين ، والاناضول ، وتمكن السلطان السلجوقي (الب ارسلان) من هزيمة الدولة البيزنطية في معركة (ملاذكرد) عام ١٠٧١في ارمينيا ، وبقيت دولة السلاجقة موحدة الى ان اصابها الضعف والانحطاط ، وتفككت الدولة السلجوقية الى دويلات منفصلة ، فخرجت منها الدولة الخوارزمية فيما وراء النهر ، وخرجت منها إمارات في العراق وبلاد الشام ، عرفت بـ (الاتابكيات) ، وكذلك كانت دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى ، والتي أتخذت (قونية) عاصمة لها ، وكانت تعد من أهم الدول التي لعبت دوراً كبيراً في الصراع ضد البيزنطيين ، ومثلت أهم دول الثغور.

كان سليمان بن قطلمش من أهم أمراء السلاجقة ، الذي نظم تلك الدولة ، من حيث الادارة والمؤسسة العسكرية ، وتحديداً في عام ١٠٧٧ ، كون المسلمون كانوا يطلقون على البيزنطيين الروم رغم انفصال بيزنطة عن روما ، لذلك عندما جاء أسم سلاجقة الروم من منطقة الاناضول حيث كان يحكم البيزنطيين ، وكان ذلك الأسم للتمييز بين الأتراك عامة وأتراك الأناضول ، كون هناك أتراك جاءوا أثناء معركة (ملاذ كرد) ، في سبيل الجهاد ضد العدو البيزنطي ، واستطاع سليمان ومن جاء بعده أمثال (ملكشاه) من تأسيس دولة قوية خلال قرن من الزمن في مدينة قونية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعرضت دولة سلاجقة الروم لغزو المغول ، كما تعرض له كل الشرق في بداية القرن الثالث عشر ، إذ أحتل المغول بلاد فارس والعراق والأناضول ، وعندما وصلت الجيوش المغولية الى مشارف قونية في عام ١٢٤٣م ، خرج اليها جيش سلاجقة الروم ، ودارت معركة بالقرب من كوسه داغ (الجبل الأقرع) ، واستطاع المغول من الحاق هزيمة في الجيش السلجوقي ، وتوغل المغول في وسط الأناضول ولكنهم لم يخضعوا قونية لحكمهم المباشر ، بل أبقوها تابعة لهم ، لاسيما في موضوع دفع الجزية ، وظلت دولة سلاجقة الروم خمسين عاماً دولة ضعيفة ، حتى زالت نهائياً في مطلع القرن الرابع عشر ، وتحديداً في عام ١٣٠٣.

إثر تفكك دولة سلاجقة الروم ، نشأ عنها ما يقارب (١٣) إمارات مستقلة ، مثل (قرمان ، منتشا ، أيدن ، ميديا ، قره سي ، صاروخان) ، وكانت الامارة العثمانية ، احدى تلك الامارات ، إذ سنتناول أهم النظريات التي بحثت في أصول العثمانيين.

أختلف المؤرخون في أصل العثمانيين ، وعن تاريخ دخولهم الى الأناضول ، وعن أسباب نزوحهم من آسيا الوسطى بأتجاه الغرب ، إذ شكلوا في البداية إمارة صغيرة في الجهة الشمالية الغربية من الأناضول على الحدود البيزنطية ، مثلها مثل الامارات الأخرى التي تكونت بعد تفكك دولة سلاجقة الروم.

من أهم الأسباب في اختلاف المؤرخين في أصل العثمانيين ، بأن التاريخ العثماني لم يكن مدوناً (مكتوباً) ، وظهر التدوين بعد فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣ ، وظلت الأحداث تتناقل على شكل روايات وقصص وبعضها خرافات وأساطير ، ومن أشهر تلك الأساطير المتداولة ، ما حدث بين (أرطغرل) جد العثمانيين ، وبين (علاء الدين كيقباد) سلطان سلاجقة الروم ، إذا تشير القصة بأن أرطغرل وجد جيشين يتقاتلان ، وبعد أن ظهر الضعف على أحدهما ، فثارت نخوة أرطغرل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأتباعه وقدموا مساعدة للجيش الضعيف ، وأستطاع في نهاية الأمر أن يحقق انتصاراً بفضل تلك المساعدة وشراسة العثمانيين في القتال ، وتبين بعد ذلك أن الجيش الذي ساعده العثمانيين كان جيش سلاجقة الروم ، في عهد علاء الدين كيقباد وكان الجيش الثاني هو الجيش المغولي ، وعلى ذلك الأساس كافأ علاء الدين العثمانيين بمنحهم أرض في (أسكي شهر) ، وكان ذلك في عام ١٢٦٤ ، وبعض الروايات تقول أن الجيش الثاني هو الجيش البيزنطي.

نظرية غيبونز (Gibbons Theory)

يعد غيبونز من أشهر من كتب في أصل العثمانيين ، ونقل عنه أغلب المؤرخين يرى غيبونز أن قبيلة صغيرة تسمى (قايي) ، كانت تقطن في آسيا الوسطى ، وهربت أمام الزحف المغولي في عهد جنكيزخان ، وجاءت تلك القبيلة الى الأناضول في عهد السلطان علاء الدين ، سلطان دولة سلاجقة الروم في قونية ، وكان أرطغرل يقود تلك القبيلة ، وأستقرت في سكود في شمال غرب الأناضول ، وكانت تلك القبيلة كافرة ، وبعد أن عاشت مع السلاجقة المسلمين دخلت تلك القبيلة في الدين الاسلامي ، وكان عددهم ما يقارب (٤٠٠) شخص ، وتضاعف عددهم ما بين عام ١٢٩٠ – ١٣٠٠ ، ووصلت قبيلتهم حتى حدود الدولة البيزنطية ، ومن خلال اختلاطهم بالعناصر الأصلية من الأتراك واليونانيين والقوميات الأخرى ، تشكلت نواة تلك الامارة.

نظرية محمد فؤاد كوبرلي

خالف محمد فؤاد كوبرلي غيبونز ، في بعض النقاط عن أصل العثمانيين ، إذ أن كوبرلي يرى أن الأناضول كان تركياً عند قدوم قبيلة (قايي) أي العثمانيين ، وكانوا مسلمين ، وكان مجيئهم الى الأناضول للمحاولة في تكوين إمارة في منطقة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الثغور لأجل الجهاد في سبيل الاسلام على الحدود السلجوقية – البيزنطية في منطقة (أسكي شهر) وعملوا للدفاع عن الحدود ، وعرفوا بأمراء الحدود ، وكانوا يتمتعون بحرية كبيرة في صراعهم ضد البيزنطيين ، وحاول كوبرلي أن يعطي للعثمانيين أهمية خاصة من قدومهم لغاية الجهاد ، بدلاً من قدومهم كرعاة هاربين من خطر المغول ، ولذلك رجح كوبرلي ، أن العثمانيين نسبهم الى قبيلة الغز أو الأوغوز ؛ التي ينسب اليها أيضاً السلاجقة.

أختلف غيبونز مع محمد فؤاد كوبرلي ، بانكاره بأن العثمانين مسلمين أثناء قدومهم الى الأناضول ، ويذكر بأنهم عاشوا حياة الكسل خلال الخمسين عام من وصولهم ، لكن عندما أسلموا وأصبحت لهم قضية وهي الحرب في منطقة الثغور ، ظهر نشاطهم وتحركهم وذلك النشاط هو دليل دخولهم في الاسلام.

في تحليل تاريخي لما ذكره غيبونز ، يثبت بأن العثمانيين دخلوا الى الأناضول في القرن الحادي عشر وليس القرن الثالث عشر ، برفقة الأقوام التركمانية ، بعد معركة ملاذ كرد عام ١٠٧١ ، وليس في القرن الثالث عشر هرباً من أمام زحف المغول ، وذلك يعني أنهم قضوا قرنين يتجولون كرعاة في أطراف الأناضول ، وذلك يخالف رأي العثمانيين ، الذين عندما كتبوا تاريخهم بأنهم قضوا تلك المدة وهم قادة عسكريون يعملون في خدمة السلاجقة ، وليس رعاة كما ذكر غيبونز.

نظرية كلود كاهن (Claude Kahen Theory)

يرى كلود كاهن بأن العنصر التركي يضم أقوام متعددة ، منها الترك ومنها الفلنديون والمجريين والسلاف والبلغار ، وهؤلاء جميعاً لهم صلة بالأقوام الهندو أوربية ويذكر كاهن بأن أجدادهم سكنوا المنطقة الممتدة ما بين نهر الفولغا وسيبريا ، وبعضهم سكن في المنطقة الواقعة جنوب شرق جبال (إلتاي) في روسيا ، ساد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاوغوز أجداد العثمانيين ، الذين كانوا يشكلون تسعة قبائل ، وشكلوا اتحاداً تركياً في منطقة (كاشغر) في تركستان الصينية ، وكان يعيش معهم في ذات المنطقة قبائل الهنود الأوربيين ، والذين يسمون (سيستيان سارماتين) ، وكان يطلق على القبائل التركية الاوغوز اسم (الطوخارين) ، وعلى الهنود الاوربيين اسم (الصغديون) ، وينسب كاهن الاتراك الى البدو الآريين ، ثم يقول انساحت تلك المجاميع الى وسط اوربا واسفل نهر الدانوب واختلطوا مع سكانها وشكلوا اليوم الفلنديون واللاتيين والمجريين والخزر ، اما الاوغوز نزلوا الى ايران في القرن السابع ، واصبحوا مجاورين للعرب والمسلمين ، ودخلوا الدين الاسلامي في أواسط آسيا في القرن التاسع ، واصبحوا جنوداً مسلمين ومنهم اصبحوا قادة وقضاة وحكام.

النظرية التركية الحديثة

حاول الاتراك دمج الروايتين المختلفتين في زمن هجرة العثمانيين ، فمنهم من قال في القرن الحادي عشر ، ومنهم ذكر في القرن الثالث عشر ، وخرجوا بحصيلة مفادها ، بأن العثمانيين ينتمون الى عشيرة (قايي) وهي من عشائر الاوغوز ، هاجرت الى الاناضول من آسيا الوسطى ، عن طريق بلاد فارس ، وأقامت في منطقة (ماهان) في منصف القرن الحادي عشر الميلادي ، ثم استقروا في منطقة (خلاط) ، وعندما حدث زحف المغول ، تركوا خلاط عام ١٢٢١ ، وقرروا الرحيل بزعامة أميرهم (سليمان شاه) ، واستقروا في الارض الواقعة بين ارض روم وأرزنجان ، ثم تركوها وواصلوا المسير حتى وصلوا الى (أماسيا) في الاناضول ، وبعد أن تحسنت احوالهم رحلوا الى حلب في بلاد الشام ، واثناء عبورهم نهر الفرات ، غرق ألامير (سليمان شاه) عام ١٢٢٨م ، قرب قلعة جعبر ، وما زال قبره هناك ، حدث ذلك في عصر السلطان السلجوقي علاء الدين الاول ، وبعد ذلك انقسم القوم الى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فريقين ، تولى زعامة أحدهما ابنه ارطغرل ، الذي قرر المسير الى الاناضول ، وحينها طلب من السلطان علاء الدين أن يمنحه وقومه ارضاً ، وذلك في عام ١٢٣٠م ، وفعلاً منحهم منطقة (قراجه طاغ) بالقرب من انقرة ، ثم منحهم علاء الدين منطقة (فرجيا) لقاء مساعدتهم له في الحرب ، ثم منحهم منطقة (سكود) لتكون مقراً لهم ، وتلك الاماكن جميعها استحوذ عليها العثمانيين في قتالهم مع الدولة البيزنطية ، حكم ارطغرل امارته الصغيرة ووطد نفوذ قبيلته ، وكان داعماً للسلاجقة ضد الروم والمغول ، واستطاع ان يسترد قلعة (كوتاهية) من المغول ، توفي وعمره تسعون عاما، وذلك في عام ١٢٨٨ ، وخلفه ابنه عثمان.

العامرة الثانية

مرحلة النشوء والصعود

السلطان عثمان: ١٢٨٩ – ١٣٢٦

عين السلطان علاء الدين ، عثمان أكبر ابناء ارطغرل خلفاً لأبيه ، وتسلم من رئيس المشايخ الصوفية (أده بالي) ، نطاق الجهاد والسيف بوصفه مجاهداً ضد الدولة البيزنطية ، يمثل عثمان مؤسس الدولة ، لذلك سميت باسمه ، وذلك لأنه استقل بامارته ،اثر انهيار دولة سلاجقة الروم وتفككها ، تحديدا بعد مقتل سلطانها علاء الدين في نهاية القرن الثالث عشر ، وكان ما يميز عثمان ، انه كان جلداً صبوراً غيوراً على الدين ، ومتسامحاً مع جميع عناصر الدولة سواء كانت اسلامية أو غير اسلامية ، ونظراً لتسامحه التحقت بالامارة الكثير من القبائل التي جاءت من آسيا الوسطى ، وبدأ بناء الامارة الجديدة ، وبنى مسجداً في اسكي شهر ، في منطقة سكود ، واقام شعائر الدين الاسلامي.

تطلع عثمان الى توسيع امارته ، وكان اتجاهه نحو الغرب من الاناضول ، وتحديداً باتجاه عاصمة الدولة البيزنطية (القسطنطينية) ، ونقل مقره في بداية توليه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الزعامة ، من سكود الى (قره جه حصار) ثم وصل الى (يكي شهر) ، والتي اصبحت قاعده له للتحرك نحو مدينة (بورصا) ، وبنى قلعتين لحصارها ، وبذلك فرض سيطرته على المنطقة ، مما زاد مخاوف البيزنطيين ، وفي الوقت الذي دخل ابنه (اورخان) عام ١٣٢٦ ، الى مدينة بورصا ، وارسل اليه رسالة تحمل البشرى بالفتح ، الا انه فارق الحياة ، ولم يسمع بدخول الجيش العثماني الى مدينة بورصا ، وكان حينها قد بلغ السبعون من العمر ، ودفن في بورصا ، التي اصبحت العاصمة الجديدة للعثمانيين ، نال عثمان لقب (بك) من السلطان السلجوقي ، تقديراً لمواقفه ، ومنحه كل الاراضي والقلاع التي يدخلها ، واجاز له صك العملة ، وان يذكر اسمه في صلاة الجمعة ، وكان عثمان ليس فقط زعيماً ، وانما كان يتميز بالشجاعة والهيبة ، وقوة التأثير في اتباعه.

السلطان أورخان ١٣٢٦ – ١٣٦٠

يعد اورخان مؤسس الدولة العثمانية الفعلي ، إذ تحول الحكم في عهده ، من حكم القبيلة الى الدولة ، وأخذت تشكل خطراً حقيقياً على الدولة البيزنطية ، وكان ما يميزه هو الاستفادة من جميع العناصر في الاراضي التي تصبح تحت سيطرته ، ليكونوا عامل بناء في دولته ، وعامل قوة في جيشه الجديد الذي اسسه ، وهو الجيش الانكشاري.

سقطت بورصا في يده دون قتال ، بعد احتلال جميع القلاع المحيطة بها ومحاصرتها مدة طويلة امتدت عشر سنوات ، إذ سلمها حاكمها (افرنوس) دون قتال ، وحينها لم يتعرض اورخان لسكان المدينة وتركهم يتابعون حياتهم بشكل طبيعي ، وبعدها دفن اورخان اباه (عثمان) في بورصا الواقعة على سفح الاولمبوس (كشيش طاغ) ، إذ دفنه في جامع القصر بعد ان تم تحويله الى جامع والتي في الاساس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت كنيسة المدينة ، ونقل العاصمة اليها واصبحت مركز العثمانيين ومدفن سلاطينهم.

تابع اورخان التوسع نحو الغرب ، وتمكن من هزيمة الامبراطور البيزنطي (اندرونيكوس) ، الذي حاول وقف التقدم العثماني في معركة (بليكانون)عام ١٣٢٩ ، وتمكن اورخان بعدها من احتلال مدينة نيقيا (ازنيق) عام ١٣٣١ ، ثم مدينة نيقوميديا (ازميد) عام ١٣٣٧ ، وبسقوط هاتين المدينتين ، يكون اورخان قد استولى على منطقة (بثينيا) كلها ، وهي تشكل الارض الواقعة ما بين بحر مرمرة والبحر الاسود ، ولم يبق للبيزنطيين سوى بعض الحصون الصغيرة على الشاطئ ، واصبح بحر مرمرة الحد الفاصل ما بين العثمانيين والدولة البيزنطية ، وتحديداً عاصمتها القسطنطينية.

عزز اورخان مركزه بالتوسع في ساحل مرمرة ، وكان هذه المرة على حساب بعض الامارات التركية المسلمة مثل (عمر خان) و (قره سي) ، واستغل نزاع اسرة الحكم في قرة سي فضمها عام ١٣٣٦ ، وبذلك اصبح في مواجهة مع غاليبولي أحد احياء القسطنطسنية.

كانت القسطنطينية تعاني من الضعف والانشقاق، مما اتاح لأورخان التدخل في شؤونها ، وكان طرفا الصراع في السلطة الامبراطور الصغير (يوحنا باليولوغوس) من جهة ، وبين قائد الجيش (كانتاكوزين) ، وعندما طلب يوحنا وأمه الملكة (آن) المساعدة من ملك الصرب والبلغار (استيفان دوشان) ،طلب كانتاكوزين بدوره المساعدة من اورخان ، وقبل اورخان مقابل زواجه من ابنة كانتاكوزين ، والتي تسمى (تيودورا) ، وتم الزواج في عام ١٣٤٥ ، وعلى اثر ذلك ارسل قوة عسكرية ، واستطاع ان يثبت كانتاكوزين على العرش عام ١٣٤٧ ، مشاركة مع الامبراطور

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتم الصلح بزواج ابنة يوحنا من خليل ابن اورخان ، وهكذا وضع اورخان قدماً في اوربا ، كما استطاع خلال تلك المدة من تعزيز مكانته في الاناضول ، بالسيطرة على انقرة من امارة قرمان واستفاد من ثقافتها وادارتها برفد امارته بعناصر تركية جديدة ، توفي اورخان عام ١٣٦٠ حزيناً على ابنه سليمان ، الذي توفي في غاليبولي اثناء الصيد.

المحاضرة الثالثة

العوامل التي استطاع اورخان من خلالها تحويل القبيلة الى دولة قوية وصلت اطراف القسطنطينية

١-**الاسلام والجهاد ضد اعدائه:** كانت دولة سلاجقة الروم تقوم في وسط الاناضول في قونية ، واذ كان مجاهدو الثغور يتحركون منها نحو اطراف الاناضول مقابل البيزنطيين ، لكن تلك الدولة ضعفت تحت تأثير غزوات المغول ، ولا سيما بعد هزيمة سلاجقة الروم في معركة (كوسة داغ) عام ١٢٤٣ ، كما استشرى الفساد الداخلي وحكم الاقطاع ، كل ذلك ادى الى هجرة اعداد كبيرة هرباً من المغول الى الاطراف وشكلوا امارات تركية مستقلة عملت على مهاجمة الاراضي البيزنطية ، وكان المشايخ ورجال الطرق الصوفية يدفعون الاتراك على الجهاد ، وعندما قضي على دولة سلاجقة الروم في اوائل القرن الرابع عشر ، كانت الامارات التركية قد تكونت في غرب الاناضول ، ومن اهمها الامارة العثمانية ، الذين أحيوا الجهاد ضد البيزنطيين ، ولا سيما بعد ان اخذوا زمام المبادرة بدلاً من سلاجقة الروم فعملوا على استيعاب الكثير من القبائل التي كانت ترغب في الجهاد ، كما ان الرقعة الجغرافية التي منحها لهم علاء الدين في الشمال الغربي امام القسطنطينية ، حتم عليهم ان يكونوا أقرب الامارات التركية للبيزنطيين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢-**الجيش العثماني:** كان الجيش العثماني يعتمد على الفرسان ، الذين كانت خيولهم مصدر قوتهم ، واثبتوا تفوقهم على القوات البيزنطية ، وفي المرحلة الاولى احدثوا ارباك كبير في صفوف القوات البيزنطية ، كونهم لا يحتاجون الى التحضير للهجوم في اسلوب قتالهم ، في حين الجيش البيزنطي كان يحضر خطط عسكرية مدروسة ، فكان هؤلاء الفرسان يهجمون كالصاعقة فاذا انتصروا ربحوا كل شيء واذا انهزموا لم يخسروا شيئاً ، لانهم لا يحملون معهم شيئاً ، وكانوا هم وخيولهم اداة الحرب ، وكان البيزنطينيون عاجزون عن ايقاف تقدم الفرسان ، لانهم كانوا يشنون هجومهم بشكل متواصل صيفاً وشتاءاً ، مما يؤدي الى ارهاق البيزنطيين واحياناً لم يكن الامر سهلاً أمام الحصون والقلاع ، فكانوا يضطرون الى محاصرتها ، وقد يطول الحصار كما حصل مع مدينة بورصا ، اذ استمر حصارها عشر سنوات ، وازاء توسع الامارات العثمانية والحاجة الى المشاة بجانب الفرسان ، تم تشكيل فرق المشاة من المسلمين الاتراك ، الذين كانوا ينالون اجورهم خلال الحرب ، مع اعفائهم من الضرائب الزراعية عند عودتهم الى اراضيهم ، وكانوا يسمون بـ (اليايا) وخضعوا للطاعة العمياء في الجيش ، وفي عام ١٣٢٠ لجأ اورخان الى طريقة جديدة مؤلفة من اولاد المسيحيين ، ويتم تربيتهم تربية اسلامية ، ثم ادخالهم في الجيش ، كما اقترح قاضي العسكر لدى اورخان ، وهو (قره خليل جندرلي) على السلطان ان يقتطع خمس الاموال والغنائم ، وحسب الشرع الاسلامي وتصرف تلك الاموال على الجيش النظامي الجديد (يكي جري) والذي عرف محرفاً بالجيش الانكشاري ، وتختلف المصادر في ذكر تاريخ تأسيس الانكشارية، فبعظهم يرجعه الى عهد اورخان عام ١٣٣٠ ، والبعض الاخر برجعه الى بداية حكم السلطان مراد ، والارجح ، ان اورخان هو صاحب الفكرة وهومن بدأ بالتأسيس ولكم أول المعارك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خاضها في عهد السلطان مراد، ونواة الجيش الانكشاري تقوم على اساس ضريبة تعرف باسم (ضريبة الاطفال) الذين شكلوا منها الجيش الانكشاري ، والتي تعرف احياناً بـ (ضريبة الدم) او (الدفشرمة) ، اذ كان يؤخذ الاطفال من البلاد الاوربية التي تفتتح حديثاً ، ويدخلون الاسلام ، ويتم تربيتهم تربية عسكرية فكرية خاصة ، ويعيشون في ثكنات من دون زواج ولا اختلاط في المجتمع ، وكانت مهمتهم الدفاع عن الاسلام والسلطان العثماني ، وباركهم زعيم الطائفة البكتاشية (حاج بكتاش) ، واتخذوا لبس القلنسوة من اللباد الابيض ، وتشبه قبعة الدرويش بكتاش ، ومن ثم انضوى الانكشارية تحت الطريقة البكتاشية.

لم تكن اعداد الانكشارية كبيرة ، إذ لم يتجاوز عددهم(ألفاً) في عهد السلطان بايزيد ، و١٢٠٠ في عهد السلطان محمد الفاتح و١٢٠٠٠ في عهد السلطان سليمان القانوني، استمروا في خدمة الدولة العثمانية ، ويعود سبب قلة الجيش الانكشاري في بداية تأسيسهم الى انه كان يجمع الاولاد الاقوياء الاصحاء مابين اعمار ٨ – ٢٠ سنة وكان يؤخذ واحد من الاولاد ذوي النسب العالي من كل (٤٠) مثل الزكاة ، ولكن عندما دخل أولاد المسلمين بناء على طلبهم في الجيش فقد ازداد عدده ولكن القانون استثنى المتزوجين والايتام والمرضى والرعاة واصحاب المهن والمختونين منذ الطفولة والمنتسبين الى الطريقة البكتاشية وابناء وكلاء القرى.

٣-**سياسة التسامح الديني:** انتهجت الدولة العثمانية تجاه الدول التي يتم فتحها سياسة التسامح الديني ، لا سيما تجاه المسيحيين ، الذين كانوا يتم اعفائهم من الخدمة العسكرية مقابل دفع الجزية ، التي كانت تنفق على الجيش ، وكان كل (ذمي) يدخل في الاسلام يصبح عثمانياً ، يملك كل حقوق المواطنين العثمانيين المسلمين ، ولم يكن اعفاؤهم من الجزية هو العامل الوحيد الذي جعل اعداداً

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العاصمة منشأت مهمة ، اذ انشأ اول جامعة عثمانية في ازميد وعهد ادارتها الى (داود القيصري) ، ومسجد بورصا كان من أهم تلك المنشأت ، كما اسس المدارس والتكايا ، وانتشرت الاحياء الجديدة ، واكرم اورخان العلماء والشعراء.

الحاكم الرابع

مراد الاول ١٣٦٠ – ١٣٨٩

تولى العرش من ابيه وهو في الواحدة والاربعين من عمره ، واتصف بالاخلاق العالية والتدين والغيرة على الاسلام ، وكان قديراً في الحرب ومؤثرا بين جنوده، لكنه سرعان ما واجهته المشاكل بمجرد ان تولى العرش عام ١٣٦٠ ، وكان اولها تحريض امير قرمان للامارات التركية بعد موت اورخان لاجل القتال ضد العثمانيين ، فأرسل مراد قوة قضت على تلك التمردات ، وفقد امير قرمان (علاء الدين) بعض من املاكه وانتهى الصراع بزواج مراد من ابنة امير قرمان، وتم عقد الصلح بين الطرفين ، ثم توجه مراد الى (الروملي) وهو البر الاوربي في البلقان ، وسقطت بيده العديد من القرى والمدن ، وكان اهمها مدينة (ديمتوقة) ، والتي اتخذها قاعدة لتحركاته ، وسقطت (آدرنة) بيده عام ١٣٦١ ، وكانت تتميز بانها ذات موقع حصين على ثلاثة انهر ، فنقل مراد العاصمة من بورصا الى ادرنة ، وعين قائداً للجيش وهو (لالا شاهين) ، الذي تابع المسير فاحتل (فيليبة) عاصمة الروملي الشرقي ، كما سيطر على (وردار) و (كلجمينا) ، وبذلك اصبحت مناطق مقدونيا وتراقيا أرض عثمانية ، وسارع حاكم مملكة (راجوزا) الى عقد معاهدة تجارية مع العثمانيين عام ١٣٦٥م ، مع دفع (٥٠٠) دوقية ذهبية كجزية سنوية ، وبذلك اصبحت القسطنطينية تحت رحمة العثمانيين.

استشعرت اوربا الخطر العثماني ، مما دعا ملوك اوربا بطلب النجدة من بابا روما (أوريان الخامس) ، لاجل تشكيل تحالف لطرد الجيش العثماني ، وجمعوا جيشاً

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم تم فتح مدينة (سالونيك) المدينة الشهيرة ، وقضى على التآمر الذي قاده ابنه (صاووجي) بالتحالف مع الامبراطور البيزنطي (حنا باليولوجوس) ، واكتفى مراد بسمل عيني المتحالفين في حين قام بقتل ابنه ، كما قضى تيمورطاش على تمرد علاء الدين امير قرمان واخذه اسيراً عام ١٣٨٦م ، واكتفى مراد باخذ الجزية منه وابقاه على املاكه من اجل ابنته زوجة مراد.

استغل الاوربيون غياب القادة ، لانشغالهم في الاناضول ، وقرروا طرد العثمانيين من البلقان ، وتزعمت الصرب والبلغار والبوسنة حملة انضم اليها تباعاً كل من البانيا والمجر وولاشيا وبولونيا ، ولم تشارك اوربا الغربية لانشغالها بشؤونها الخاصة ، وحقق التحالف المسيحي نصراً في بادئ الامر عام ١٣٨٨م ، لكن مراد جهز حملة كبيرة ، انتصر فيها على (سيسمان) ملك بلغاريا بعد حصاره في (نيكوبوليس) ، وضم مراد نصف بلغاريا ، وابقى النصف الاخر تحت حكم سيسمان ولكن تحت رعاية الدولة العثمانية عام ١٣٨٩ ، ولما علم (لازار) ملك الصرب بهزيمة حليفه (ملك بلغاريا) ، اتجه بقواته نحو البانيا ، لكن مراد الحق به والتقى الجيشان في سهل (قوصوة) اي الطيور السوداء ، ودارت معركة حاسمة انتصر فيها مراد وانهزم لازار الذي جرح في المعركة وتم اسره ، وقتل الكثير من الطرفين ، ولكن عندما كان السلطان مراد يتجول في ساحة المعركة بعد نهايتها ، فاجأ مقاتل صربي كان يتظاهر بانه ميت ، وطعن مراد مما ادى الى وفاته على الفور ، فتسلم (بايزيد) ابنه القيادة ، وقتل لازار وقادته وقطع رؤسهم انتقاماً لابيه ، وحدثت معركة قوصوة في ١٥ حزيران من عام ١٣٨٩ ، وتم نقل رفاة مراد الى بورصا وتم دفنه هناك.

بايزيد الاول ١٣٨٩ – ١٤٠٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تدمج العناصر غير التركية في مجتمعها واقامت لدولتها هدفاً ونظاماً وتطورت مع الواقع المحيط.

المحاضرة الخامسة

مرحلة التوسع والقوة

السلطان محمد الاول (جلبي) ١٤٠٢ – ١٤٢١

كان من نتائج حملة تيمورلنك نشوب الصراع بين ابناء بايزيد وكل يدعي انه السلطان الشرعي ، فسليمان هرب الى (بورصا) ثم الى (ادرنة) بمساعدة الامبراطور البيزنطي واصبح حاكماً على الروملي وتخلى عن بعض الاراضي للامبراطور البيزنطي مقابل مساعدته ، اما عيسى التجأ الى بورصا بمساعدة القائد تيمورطاش ، اما محمد استقر في الجبال الشرقية من اجل محاربة بقايا جنود تيمورلنك في أماسيا وتوكات وكان اكثر اخوته نشاطاً وأشدهم بأساً.

هاجم محمد اخاه عيسى الذي اضطر للهرب الى الدولة البيزنطية ، لكن سليمان بدوره هاجم محمد في بورصا وطرده منها عام ١٤٠٤م ثم لاحقه الى انقرة في عام ١٤٠٥ وطرده منها ، وبعد ذلك اتبع محمد خطة جديدة اذ حاول تصفية المشاكل مع الامارات في الاناضول بالتصالح ، ثم حرر اخاه موسى من امير قرمان وسلمه قيادة الجيش ووجهه لمحاربة سليمان ، لكن سليمان انتصر عليه قرب القسطنطينية وطارده في الدردنيل ، وأمد محمد أخاه موسى بقوات اضافية تمكنت من الانتصار على سليمان وقتله في عام ١٤١٠ ، كما ان أخاهم عيسى قتل أثر معركة دارت مع امارة قرمان.

لم ينته الصراع لان موسى اعلن تمرده ورفض الاعتراف بأخيه محمد واستقل بالحكم في الروملي ، واخذ يستعدي عليه الصرب ، اذ شن عليهم حملة زاعماً انهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خانوه قبل ثلاث سنوات ، تم فتح (تساليا) وحاصر العاصمة البيزنطية القسطنطينية لانه كان يتصور بفتحها يصبح سلطاناً على العثمانيين ،استنجد الامبراطور البيزنطي بمحمد كما ساعده الصرب الذين وقفوا مع محمد في صراعه مع اخوته ، وقاد محمد جيش عام ١٤١٠م ، ولكن من دون ان يحقق نصر وبعد ان انهى جميع مشاكله في الاناضول جهز عام ١٤١٢م حملة كبيرة وسار باتجاه بلاد الصرب ، حتى وصل الى مدينة (نيش) ثم تقدم في السنة التالية والتقى باخيه موسى في سهل (جاموليي) عام ١٤١٣م ، والتي تقع شرق (صوفيا) واستطاع محمد من هزيمة اخيه موسى الذي وقع في الاسر وتم (اعدامه خنقاً) ، وبذلك اصبح محمد سلطاناً اعترف به الحكام والامراء وجمع اشلاء دولته من جديد ووحدها وحمل اكثر من لقب ، ولكن اشهرها هو لقب (جلبي) اي النبيل او الشريف لحبه للخير ولاستقامة سلوكه وسمو اخلاقه.

اتبع محمد الحكمة لأعادة الاستقرار ، فكف عن الحروب ، وجعل عاصمته (آدرنة)، لكنه خلال مرحلة اعادة النظام مرت به مشاكل وفتن استعمل تارة معها الحزم وتارة اخرى الحكمة ، ومن اهم تلك الفتن تلك التي اثارها (قره جنيد) حاكم ازمير الذي احتل امارة (آيدين) واعلن استقلاله ، كذلك ما قام به امير قرمان بمهاجمة بورصا ونبش قبر (بايزيد) ، ولكن محمد استطاع ان ينتصر عليهما وان يعيد نفوذ الدولة العثمانية ، وقد عفا عنهما مقابل ان لا يعاودوا الخروج عن طاعة الدولة ، وبعدها تفرغ الى مناطق الروملي اذ حدثت مشكلة بينه وبين البندقية في بحر ايجة ، اذ اخذت الاساطيل التابعة للبندقية بمهاجمة السواحل العثمانية ، وبنى محمد اسطولاً بحرياً وحارب البندقية لكنه هزم قرب غاليبولي عام ١٤١٦م ، مما اضطر لعقد معاهدة صلح تسمح للبنادقة التجارة في اراضيه ، كما ثار عليه امير

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولاشيا بتحريض من ملك المجر ، ولكن استطاع محمد من هزيمته وجدد الصلح بعد العفو عنه ، كما عقد صلحاً مع ملك المجر في المدة من عام ١٤١٦ – ١٤٢٠م.

قامت ضد الدولة العثمانية ثورة (بدر الدين الصمانوي) قاضي عسكر جيش موسى ، الذي اعلن ثورته في البلقان مطالباً بالمساواة بين الاديان والمذاهب ولقيت دعوته قبولاً من بعض الطرق الصوفية ، وساعده حاجبه السابق (بيرقليجة مصطفى) في آيدن ، وارسل اليه محمد جيشاً بقيادة (سيسمان البلغاري) حاكم آيدن ، والذي كان حديث العهد في الاسلام لكنه هزم وقتل في ساحة المعركة وتحديداً في وديان جبال (ستيلاريوس) ، ثم ارسل محمد جيشاً آخر بقيادة وزيره (بايزيد باشا) ، والذي استطاع من هزيمة الحركة وفرار بدر الدين الى ولاشيا ، ولكن محمد لحق به فهرب الى مقدونيا وهناك تم القاء القبض عليه وتم اعدامه بتهمة الخيانة عام ١٤١٧م ، وسميت حركته تلك باسم حركة (ثورة الدراويش).

ثم ظهر أخ محمد الاخر (مصطفى) ، الذي توارى عن الانظار بعد معركة انقرة، اذ ظهر في بلاد اليونان ، عندما طلب محمد تسليمه ، ورفض الامبراطور البيزنطي (ايمانويل الثاني) ، فتوصلا الى اتفاق بان يخصص محمد له راتباً ويبقيه الامبراطور محجوزاً على ان لا يقوم باي نشاط معادي ، مات محمد الاول عام ١٤٢١م ، بعد ان ترك لابنه مراد الثاني دولة موحده كما انه اول من شجع العلم والادب وبنى جامعة (الاخضر) في بورصا واكمل جامع جده مراد في آدرنة ، واول سلطان يرسل الاموال الى الديار المقدسة في مكة لتوزيعها على الفقراء ، والتي استمرت تلك العادة حتى نهاية الدولة العثمانية.

السلطان مراد الثاني ١٤٢١ – ١٤٥١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القسطنطينية ، وفعلاً تم ذلك بعد سنتين من تولي محمد العرش ، فضلاً عن ذلك ان مراد كان محباً للادب والشعر ، وقرب العلماء واصحاب الطرق الصوفية ولا سيما اتباع الطريقة (البكتاشية) وظهر في عهده علماء امثال (شمس الدين الكوراني) و (خسرو خواجه) و (عاشق باشازاده) و (طوسون بك) ، وزادت في زمنه قوة الجيش الانكشاري على أساس نظام الدفشرمة .

السلطان محمد الثاني (الفاتح) ١٤٥١ – ١٤٨١

تولى (محمد الثاني) العرش العثماني بعد موت ابيه مراد الثاني ، وكان عمره حينها (٢٢) عام ولكن رغم صغر سنه الا انه يمتلك شخصية قوية وجرئ ويعرف التاريخ جيداً حذر وحريص وقادر على تحمل المشقة وكان يحمل تصوراً بأن العالم قد تغير ويسير من الشرق الى الغرب ويجب ان يكون العالم امبراطورية واحدة وفيها دين واحد.

قضى محمد العام الاول من حكمه في اعادة تنظيم الدواوين والشؤون المالية ، وكان لا يحب الاسراف ، واهتم بالجيش ، وزاد رواتب الجند ، واعتنى بحكام الاقاليم وعاقب المقصرين وجهز كل شيء لخدمة هدفه الكبير في فتح القسطنطينية ، وكانت الاناضول تقريباً جميع اراضيها تابعة للدولة العثمانية ماعدا جزء من امارة قرمان وجزء من سينوب ومملكة طرابزون على البحر الاسود ، أما في الجزء الاوربي كانت القسطنطينية تحت سلطة الامبراطورية البيزنطية ، واقليم المورة جزء منه تابع للدولة العثمانية وجزء للبندقية ، اما البانيا كانت تحت حكم اسكندر بك ، اما البوسنة مستقلة والصرب تابعة للدولة العثمانية فضلاً عن اجزاء البلقان الاخرى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م

كانت الدولة البيزنطية تدفع دائماً القوى الاوربية والامارات التركية للنيل من الدولة العثمانية وكانت تحمي المتمردين على الدولة العثمانية ، وكانت القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية والتي بناها قسطنطين الاول عام ٣٣٠م تمثل بموقعها الجغرافي في قلب الدولة العثمانية مكاناً مؤثراً ومسماراً في اهم موقع يربط جزئي الدولة العثمانية ، كما كانت لمكانتها الدينية قيمة كبيرة سواء للمسيحين او للمسلمين اذ المسيحية تمثل ارث حضاري كبير اما المسلمون فيعدون فتحها وضمها للدولة الاسلامية العثمانية تكملة للفتوحات لذلك كان فتحها أهمية ليس للعثمانيين فحسب انما لكل المسلمين.

اتبع السلطان محمد سياسة حكيمة في سنته الاولى من حكمه حتى يتفرغ لعمله وغايته الاكبر ، فتصالح مع هنيادي ومع امير الصرب وامير ولاشيا ومع الجنويين وفرسان القديس يوحنا في جزيرة (رودس) ، كما اخضع ابراهيم امير قرمان الذي استغل موت مراد الثاني واعلن تمرده واصبح محمد الثاني متفرغاً لفتح القسطنطينية وبدأ يبحث عن المبرر المباشر لأجل محاصرة المدينة وكان السبب المباشر هو ان قسطنطين كان قد حرض امير قرمان على التمرد ضد الدولة العثمانية ، كما انه (قسطنطين) طالب محمد الثاني بمضاعفة راتب الامير العثماني (اورخان) احد ابناء السلطان (مراد الثاني) والا اطلق سراحه ومده بالجند واعلان الثورة عليه.

كانت بداية الاعمال العسكرية بنى السلطان محمد قلعة في البر الاوربي ، مقابل القلعة التي بناها بايزيد الاول على البر الاسيوي ، حتى يحكم الحصار على المدينة من البحر ويمنع مرور السفن في البسفور كما جهز حملة بحرية في بحر مرمرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لاحكام الحصار من جميع الجهات وحشد جيشاً يقدر بحوالي(٨٠) الف مقاتل ، وجهز مدفعية ثقيلة بناها المهندس المجري (أوريان) ووصل وزنه الى (٧٠٠) طن ووزن قذيفته (١٢) الف رطل ومداه اكثر من ثلاث كيلومترات وجهز ما يقارب (٣٠٠) سفينة وبدأ حصار مدينة القسطنطينية في ٦ نيسان من عام ١٤٥٣.

اما جيش الدولة البيزنطية فكان عدد المدافعين عن المدينة ما يقارب (١٠) الاف مقاتل وكان عدد سكان المدينة آنذاك ما يقارب (٧٥) الف شخص ، وكان قسطنطين يعرف مدى تفوق العثمانيين من الناحية العسكرية ولكنه كان يعتمد على اسوار المدينة المزدوجة والتي تتميز بارتفاعها الشاهق، وكان يحيط بالاسوار خندق عميق جداً ، فضلاً عن انهم كانوا يؤمنون بان الملائكة ستقاتل معهم وتبيد العثمانيين ، ومع كل ذلك كان الامبراطور البيزنطي يرى في اوربا الكاثوليكية هي القادرة على الدفاع عن المدينة فأرسل الى البابا (نيقولا الخامس) يطلب النجدة وكذلك أرسل الى ملوك أوربا.

أشترط البابا لتقديم المساعدة توحيد الكنيستين واضطر قسطنطين للقبول مرغماً فأرسل البابا خمسين شخص من اتباعه بزعامة الكاردنال (إيزيدور) وأقاموا قداساً في كاتدرائية (آيا صوفيا) في القسطنطينية وأعلن توحيد الكنيستين لكن اهالي المدينة أخذوا يهتفون ضد التوحيد وضد الامبراطور حتى انه كبير النبلاء في المدينة (لوثاروس) اعلن انه "يفضل عمامة المسلم على قبعة الكاردنال الكاثوليكي".

بالرغم من خضوع قسطنطين لمطالب البابا ، فلم يحصل على مساعدة تستحق الذكر اذ لم يصل سوى (٧٠٠) مقاتل مع انضمام (١٠٠٠) متطوع قدموا من اسبانيا وايطاليا وهؤلاء من وقع عليهم عبء الدفاع عن المدينة لهروب الكثير من قادة جنود المدينة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمكنت خمسة سفن تابعة للبابا من اجتياز البحر والوصول الى المدينة عبر (القرن الذهبي) في ٢٠ نيسان عام ١٤٥٣م ومعنى ذلك بأن الحصار لم يكن مكتملاً كما كان يرى محمد الثاني الا من جهة البحر في الغرب وبحر مرمرة في الجنوب والبسفور في الشرق اما الجهة الشمالية (القرن الذهبي) فقد اغلقها البيزنطيون لمنع دخول السفن العثمانية ، وبدأ يفكر محمد الثاني في خطة لاحكام الطوق على المدينة رغم ان الجيش العثماني حاول مرات عديدة وبعد فتح ثغرات في سور المدينة وملء الخندق بالحطب والاحجار ولكن نيران المدافعين الحقت خسائر كبيرة في صفوف القوات العثمانية.

كان من الضروري مد الحصار الى القرن الذهبي فابتدع محمد الثاني خطة ذكية اذ عبد الطريق مابين (غلطة) والقرن الذهبي وغطاها بالخشب والشحم ونقل سبعين سفينة عليها بالبحر انزلاقاً وكان طول الطريق ما يقارب (١٢) كيلومتر وتم ذلك في ليلة ٢١ نيسان ١٤٥٣م وأمر المدافع ان تواصل الرمي لدك اسوار المدينة طوال الليل للتغطية على عملية نقل السفن ، لذلك تفاجأ البيزنطيين في الصباح بوجود العثمانيين في القرن الذهبي وبدأ الرعب يملأ قلوبهم وبعد ذلك اقدم العثمانيون على مد جسر من الدردنيل الى القرن الذهبي.

أصر السلطان محمد الثاني على الفتح رغم شراسة المدافعين وحفر الانفاق تحت الاسوار وقابل البيزنطيين الداخلين بالنار والزيت الحار وبعد ذلك بنى العثمانيون برجاً عالياً لتسلق الاسوار وغطوه بجلود مبللة كي لا يحترق ومع ذلك احترق ، وحاول محمد الثاني باقناع الأمبراطور تسليم المدينة مقابل منحه اجزاء من المورة ، ولكنه رفض وحينها قرر محمد الثاني بدء الهجوم الكبير في ٢٩ آيار عام ١٤٥٣ بعد (٥٣) يوم من الحصار واشتعلت النيران طوال الليل وصام الجند يومين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمكنت خمسة سفن تابعة للبابا من اجتياز البحر والوصول الى المدينة عبر (القرن الذهبي) في ٢٠ نيسان عام ١٤٥٣م ومعنى ذلك بأن الحصار لم يكن مكتملاً كما كان يرى محمد الثاني الا من جهة البحر في الغرب وبحر مرمرة في الجنوب والبسفور في الشرق اما الجهة الشمالية (القرن الذهبي) فقد اغلقها البيزنطيون لمنع دخول السفن العثمانية ، وبدأ يفكر محمد الثاني في خطة لاحكام الطوق على المدينة رغم ان الجيش العثماني حاول مرات عديدة وبعد فتح ثغرات في سور المدينة وملء الخندق بالحطب والاحجار ولكن نيران المدافعين الحقت خسائر كبيرة في صفوف القوات العثمانية.

كان من الضروري مد الحصار الى القرن الذهبي فابتدع محمد الثاني خطة ذكية اذ عبد الطريق مابين (غلطة) والقرن الذهبي وغطاها بالخشب والشحم ونقل سبعين سفينة عليها بالبحر انزلاقاً وكان طُول الطريق ما يقارب (١٢) كيلومتر وتم ذلك في ليلة ٢١ نيسان ١٤٥٣م وأمر المدافع ان تواصل الرمي لدك اسوار المدينة طوال الليل للتغطية على عملية نقل السفن ، لذلك تفاجأ البيزنطيين في الصباح بوجود العثمانيين في القرن الذهبي وبدأ الرعب يملأ قلوبهم وبعد ذلك اقدم العثمانيون على مد جسر من الدردنيل الى القرن الذهبي.

أصر السلطان محمد الثاني على الفتح رغم شراسة المدافعين وحفر الانفاق تحت الاسوار وقابل البيزنطيين الداخلين بالنار والزيت الحار وبعد ذلك بنى العثمانيون برجاً عالياً لتسلق الاسوار وغطوه بجلود مبللة كي لا يحترق ومع ذلك احترق ، وحاول محمد الثاني باقناع الامبراطور تسليم المدينة مقابل منحه اجزاء من المورة ، ولكنه رفض وحينها قرر محمد الثاني بدء الهجوم الكبير في ٢٩ آيار عام ١٤٥٣ بعد (٥٣) يوم من الحصار واشتعلت النيران طوال الليل وصام الجند يومين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قبل الهجوم ، في حين كان المسيحيون داخل المدينة يتضرعون بالدعاء وتمكن الجنود العثمانيون من الوصول الى الاسوار وتسلقوها وسط ضحايا كبيرة جدا حتى فتحوا الابواب وكان السلطان محمد الثاني يقود الهجوم الذي دخل المدينة وتم قتل الامبراطور قسطنطين وهو يدافع عن المدينة ، ومن حينها بدأ تسمية السلطان محمد بالفاتح وكانت المدينة مكتظة بالناس وينتظروا ماذا يحل بهم ولكن السلطان عفا عنهم وسمح لهم بمواصلة صلاتهم وطلب من المؤذن ان يرفع الصلاة من فوق (آياصوفيا) التي حولها الى مسجد وصلى فيها أول صلاة جمعة ومنع التعدي على الناس ثم نقل عاصمة الدولة العثمانية اليها بعد ان كانت آدرنة وسميت (اسلام بول) اي دار الاسلام ومن خلالها اخذت الدولة بالانطلاق الى البحر الاسود والمجر والبحر الادرياتيكي والبحر الابيض المتوسط.

قام محمد الفاتح بانجاز اعمال جليلة في استانبول توازي مكانة وهيبة الفتح ومن أهمها:

١-ترك للمسيحيين الحرية الكاملة في ممارسة طقوس وشعائر دينهم وأوكل لهم القضاء المدني الخاص بهم وبأحوالهم الشخصية.

٢-اجرى انتخاب البطريك للكنيسة الشرقية وتم انتخاب (جناديوس) لتلك المهمة ، ومنحه محمد جميع الامتيازات القديمة وقدم بيده صولجان البطريك.

٣-منح الامان لجميع المسيحيين الذين هربوا جراء الحرب وفعلاً عادوا وسكنوا حول مقام البطريرك على ضفة القرن الذهبي واحترفوا التجارة وعرفوا باسم (الفناريون).

٤-اسكن الفاتح اعداد كبيرة من السلاف في المدينة كما تدفق اعداد كبيرة من المسلمين الذين استفادوا من قانون الاوقاف الخاص بخدمة العلم وطلابه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥-تحولت استانبول الى مركز فكري اسلامي وحول السلطان آياصوفيا الى مسجد ، وجرى فيه اصلاحات كثيرة اذ اضيفت اليها مآذن واحيطت بالحدائق.

٦-بنى مسجد سمي باسم السلطان والحق به المكتبات والتكايا والمؤسسات الخيرية والمدارس اذ كان يدرس فيها جميع فروع العلم.

٧-بنى المشافي والمطاعم لمساعدة الفقراء فضلاً عن بنائه قصور اصبحت مؤسسات للدولة ومقرات للوزراء والحكومات.

٨-أصلح اسوار المدينة ، وبنى قلعة عظيمة (قلعة الابراج السبعة) وبنى مركزاً للسفن ، واسكن الجنويين في حي غلطة سراي وضمن لهم حرية العيش والتملك.

٩-وضع محمد الفاتح قانوناً ينظم ادارتها مدنياً وقانونياً واسمه (قانون نامة) وظل معمولاً به حتى عهد السلطان سليمان.

كان من آثار فتح القسطنطينية على اوربا الغربية ولا سيما على ايطاليا انها استفادت من مجئ العلماء البيزنطين الذين هجروا الدولة البيزنطية اليها وساهم ذلك في حركة النهضة الاوربية بنقلهم التراث اليوناني الى اللغات الاوربية اللاتينية ورأى بعض المؤرخين ان فتح المدينة كان بداية للتاريخ الحديث ورأى البعض الاخر كان بداية عهد النهضة الاوربية.

فتح بلاد الصرب والبوسنة والهرسك

لم يكن امير الصرب (جورج برانكوفيتش) مخلصاً للدولة العثمانية ، رغم كان حليفاً لها وفعلاً تواصل مع هنيادي بعد فتح القسطنطينية من اجل التحالف ضد الدولة العثمانية وبادر السلطان الفاتح الى مهاجمة بلاد الصرب واستولى عليها عام ١٤٥٥م وهرب جورج الى بلاد المجر وبعد معارك دامية مع المجريين ، لم يستطع الفاتح من دخول بلغراد عام ١٤٥٦م وبعد موت جورج عام ١٤٥٨ ضم محمد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سليم ولجأ الى خان القرم وحاول احمد تنصيب نفسه سلطاناً في استانبول ولكن رفض الانكشارية تنصيبه، وكانوا يفضلون سليم لحبه للحرب عكس احمد الذي كان يميل للسلم، الذي كان يشبه ابيه فتحرك سليم من جديد واضطر بايزيد تعينه حاكماً على ادرنه ، بعد ان عفا عنه نزولاً عند رغبة الانكشارية الذين احضروه الى العاصمة وطلبوا من ابيه التنازل عن العرش فتنازل مرغماً ثم مات بايزيد بعد ان دس سليم له السم عام ١٥١٢م عن عمر ناهز (٦٧) عام.

المحاضرة الثامنة

السلطان سليم الاول ١٥١٢ – ١٥٢٠

تولى سليم عرش الدولة العثمانية عام ١٥١٢ وكان عمره (٤٦) عام ، واغدق المال على الانكشارية وعين ابنه (سليمان) حاكماً على العاصمة (استانبول) وقاد الجيش للتفرغ من أجل التخلص من اخويه واولادهما ، وابتدأ بأخيه (احمد) في انقرة الذي هرب بمساعدة الوزير (مصطفى باشا) الى هناك والقى القبض عليهما واعدمهما ، اما كركود فقد توجه الى امارة (صاروخان)وكذلك قتله ثم ذهب الى بورصا وقتل خمسة من ابناء اخوته ثم عاد الى ادرنة ، وقابل سفراء الدول الاوربية وعقد معهم هدنة وضمت سفراء البندقية والمجر وروسيا وعمل ذلك حتى يتفرغ لقتال الدولة الصفوية.

من صفات سليم انه يتميز بالحيوية الذهنية والجسدية ولا ينام الا قليلاً وميالاً للدراسات الادبية ويقضي ساعات في دراسة التاريخ والشعر وكان يميل الى صحبة العلماء ويوليهم مناصب ويصطحب الشعراء والمؤرخين وكان يلقب بـ (ياوز) اي القاطع وكان يميل الى الحروب ونال شعبية كبيرة بين افراد الجيش لذلك انحاز اليه الانكشارية ضد ابيه واخوته وكان بذات الوقت ميالاً لسفك الدماء وقتل عدد كبيراً من الوزراء لاسباب تافهة ووصل عدد الوزراء الذين قتلهم (٧) وزراء ، فضلاً قتل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كل من لا يدين له بالولاء ، ومن ابرز اعماله تحويل الكثير من كنائس استانبول الى مساجد مخالفاً وعد جده (الفاتح) الى بطريرك المدينة بعدم مساس النصف الاخر من الكنائس.

قبل ان يبدأ سليم الحرب ضد (اسماعيل الصفوي) زاد عدد الجيش الانكشاري حتى بلغ عددهم (٣٥) الف مقاتل وزاد مرتباتهم فضلاً عن ذلك انه قاد جيشه نحو الشرق عكس بقية السلاطين الذين سبقوه الذين اهتموا بفتح المناطق الاوربية تحت راية الجهاد ويمكن ايعاز ذلك للاسباب التالية:

١-التشبع من اوربا:

منذ أوائل القرن الرابع عشر بدأ العثمانيون رحلة التقدم في اوربا البلقانية ، واستمر ذلك قرنين من الزمان في الوقت الذي بقي الاناضول الاسلامي خارجاً عن سلطة الدول وقاعدتها في الطرف الشمالي الغربي من الاناضول نفسها فاصبح الامتداد الاوربي المسيحي الخاضع للدولة العثمانية كان أكبر وأقوى من القاعدة الاسلامية للدولة التي ضمها محمد الفاتح ، فضلاً عن أن دور الأتراك سيتراجع في مناصب الدولة لأن الانكشاريين هم الذين سوف يقدمون للدولة رجالها ممن يلي السلاطين وأكثرهم من أصول أوربية مسيحية ، كذلك أن التوسع في أوربا أصبح شاقاً كما أن أوربا كانت تجند الحملات الصليبية لوقف تقدم العثمانيين ، ووصل العثمانيون في تقدمهم الى دول وامبراطوريات عريقة وقوية كالمجر والنمسا ، أي أننا يمكن القول بأن الدولة العثمانية قد وصلت الى حد الاشباع من أوربا وأن دولة عاصمتها (استانبول) يكفي أن تصل حدودها الى المجر في قلب عالم مختلف عنها في كل شيء.

٢-الصراع مع الدولة الصفوية:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدولة الصفوية تنسب الى الشيخ (صفي الدين الأردبيلي) ١٢٥٢م – ١٣٣٤م كان زاهداً متصوفاً ، يتميز الصفويين بشعارهم وهو لباس متميز بقلنسوة لها (١٢) ذؤابة بلون أحمر ، وكان يطلق عليهم (القزلباش) أي الرأس الأحمر أسقطوا دولة الخروف الأبيض ثم الدولة التيمورية في بلاد فارس وأن يؤسس الدولة الصفوية بعد التفاف القبائل التركمانية حولهم.

بدأ الصراع يظهر بين الدولتين (العثمانية والصفوية) في بداية القرن السادس عشر وكان الصراع يحمل صبغة توسعية ، والذي فجر الموقف بينهما هو أن أحد أتباع اسماعيل الصفوي شاه الدولة الصفوية والمدعو (شاه قولي) قام بثورة في انطاليا عام ١٥١١م واتسعت حركته واحتل مدينة كوتاهية وحاصر بورصا فأرسل له بايزيد (٨٠٠٠) مقاتل انتصروا عليه وقتلوه وهرب القزلباش الى بلاد فارس ، فضلاً عن ذلك استقبل الشاه اسماعيل ثلاثة من أولاد إخوة سليم ممن نجوا من قتله وكان اسماعيل يدعمهم ويدفع بهم الى محاربة عمهم السلطان سليم وكان ذلك يؤجج العداء بين الطرفين ، وإذا أضفنا سبب آخر للعداء بين الدولتين هو ذلك التحالف بين البرتغاليين الذين احتلوا (هرمز) عام ١٥٠٧م وبين الصفويين مما دفع ذلك الى ابتعاد المماليك عن التحالف مع الصفويين وذهبوا للتحالف مع سليم عام ١٥١٣م ، مما جعل سليم يركز قواته على جبهة القتال ضد الدولة الصفوية بعد أن اطمأن الى موقف المماليك.

لكل تلك الأسباب حشد سليم جيشاً بلغ تعداده (١٤٠) الف مقاتل وكان أول أعماله قبل المعركة هو أنه قتل ما يقارب (٤٠) ألفاً من القزلباش واباد القرى التي في طريقه في الاناضول ويذكر المؤرخ (ستانلي لي بون) بأنه ذبح حتى الاطفال وبالمقابل قام الشاه اسماعيل بقتل اعداد كبيرة من التركمان المؤيدين للدولة العثمانية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في تبريز ثم تقدم سليم نحو تبريز لاجبار الشاه اسماعيل على خوض المعركة ، وحدثت المعركة في (جالديران) وهو سهل قرب تبريز في ٢٣ آب عام ١٥١٤م ، انتصر فيها العثمانيين ودخلوا عاصمة الدولة الصفوية (تبريز) ورفع أسم سليم في المساجد كما أستولى على أموال الشاه ومقتنياته، أما اسماعيل فر من المعركة وقتل الآلاف من الطرفين وعلى أثر ذلك ضم سليم ولايتي (دياربكر وكردستان) الى دولته ونقل آلافاً من الحرفيين والتجار والعلماء من تبريز الى (استانبول) ، وبانتصار العثمانيين في معركة جالديران ضمنوا حماية شرق الاناضول والاستيلاء على الطريق التجاري عبر الممرات الواصلة بين الأناضول والقوقاز وسورية وبلاد فارس إذ أصبحت تجارة الحرير على هذا الطريق تدر أرباحاً كبيرة لخزينة الدولة العثمانية ، كما تم قطع طريق تجارة الحرير الفارسية مع الغرب عن طريق تبريز – حلب ، وكذلك سيطر على طريق القوقاز الذي تأتي عبره تجارة الرق مع المماليك.

بالرغم من ذلك لم يستطع سليم أن يقضي بشكل نهائي على الصفويين وذلك لعدة أسباب أهمها :

١- الشتاء البارد والذي أعاق حركة الجند وكذلك وعورة الأرض في بلاد فارس.

٢- نقص التموين وذلك بسبب بعد المسافة عن مركز الدولة العثمانية.

٣-لم تكن هناك قوة كافية بسبب حجم الخسائر في معركة جالديران.

٤- أمتنع عدد من قادة الجيش وكذلك الجند بسبب الارهاق الذي لحق بهم.

٣-الصراع العثماني – المملوكي (فتح بلاد الشام ومصر):

بالرغم من أن المماليك لم يشعروا كثيراً بقيام الدولة العثمانية لكنهم أحسوا حقيقة وجودها منذ أن أصبحت قوة دخلت البحر الابيض المتوسط ، كما أن وجود إمارة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البستان (ذي القدر) كانت نقطة التماس البري بينهما في أعالي دولة المماليك في بلاد الشام إذ أن كل من الدولتين كان يؤيد ويدعم أميراً تركمانياً فيها.

عطفاً على ذلك كانت هناك نقاط يلتقي فيها الطرفان تبعاً لمصالحهما وهناك نقاط صراع بينهما وأهم نقاط الالتقاء والتقارب هي :

١- كلاهما واجه خطراً مشتركاً وهو المغول القادم من الشرق ثم الخطر البرتغالي القادم من الغرب ، وكان هناك تعاون عسكري خلال تلك الحقبة بين الطرفين.
٢- كان هناك مظاهر صداقة مشتركة تتمثل في التهاني والاحتفال خلال الانتصارات العثمانية ، وكذلك مظاهر الفرح في القاهرة بعد فتح القسطنطينية.
٣- كان هناك عدو مشترك وهو الدولة الصفوية منذ احتلاله امارة ذي القدر عام ١٥٠٧م ، قد جعل الطرفين بخطورة ذلك العدو المشترك.

أما مظاهر الصراع فتجلت بعدة أمور يمكن اجمالها على النحو التالي :

١- التماس الذي مر ذكره في امارة البستان (ذي القدر) وادعاء كل طرف بأنها تابعة اليه.
٢- قلق العثمانيين من امتلاك المماليك لجزيرة قبرص عام ١٤٢٤م وكونها جزيرة قريبة على سواحل الاناضول العثمانية.
٣- قبول المماليك من لجوء الامراء العثمانيين الفارين من بلادهم والقيام بنشاط معادي كما حدث مع الامير (جم) مع أخيه يازيد.
٤- قمة الصراع هو غموض موقف المماليك خلال حرب سليم مع الشاه اسماعيل في معركة جالديران إذ كان موقفه غير واضح ولم يؤيد سليم في تلك الحرب، إذ أن الأقرب لتحليل ذلك الموقف بأن السلطان المملوكي كان يخشى زيادة قوة العثمانيين لو انتصروا على الدولة الصفوية كما أنه لم يكن قادراً على التحالف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مع الصفويين من أجل أضعاف العثمانيين بسبب شعوره بأطماع الصفويين وتحالفهم مع البرتغاليين الافرينج وذلك عكس الثوابت الاسلامية.

عودة الى الحرب بينهما إذ أن السلطان سليم وفي طريق عودته من تبريز الى استانبول احتل امارة ذي القدر فأدخل الرعب في قلوب المماليك فجمع قانصوه الغوري (حاكم المماليك) كل جيوشه وأمواله وخزائنه وتقدم الى حلب في شمال سورية في صيف عام ١٥١٦م وتبادل الغوري وسليم الرسائل التي حملت عبارات الاهانة والتقليل من شخصيهما والذي حدد مصير المعركة هو خيانة بعض زعماء وقادة المماليك مثل (خايربك) والي حلب و(جان بردي الغزالي) والي حماه وكانا يراسلان السلطان سليم ويدفعاه الى قتال الغوري مقابل المناصب والأموال ، وفي ٢٣ آب عام ١٥١٦م حدثت معركة (مرج دابق) بين العثمانيين والمماليك ، في بداية المعركة احرز المماليك بعض التقدم ولكن بعد انسحاب خاير بك وجان بردى الغزالي انكشف الجيش المملوكي وانتشرت الفوضى فدكت المدفعية العثمانية جيش المماليك فدارت الدائرة عليهم وسقط الغوري في المعركة صريعاً وانهارت دولة المماليك ، تابع سليم الى حلب ودخلها في ٣ أيلول عام ١٥١٦م ولقب بخادم الحرمين الشريفين ، ثم تابع السير ودخل حماه ثم حمص وثم دمشق وهرب المماليك بما تبقى منهم الى مصر ، واستقبل سليم من قبل الزعماء وعلماء الدين في دمشق واصدر اوامره بتقليل نسبة الضرائب كسباً للناس ووزع الاموال على العلماء وزار قبر شيخ المتصوفة (ابن عربي) في منطقة الصالحية في دمشق واولى اهتمام خاص للطرق الصوفية.

بعد تلك الانتصارات ، لم يكن سليم متحمساً لاحتلال مصر وذلك لعدة اسباب ومن اهمها:

١-بسبب بعدها عن قواعده وعليه اجتياز الصحراء (سيناء) وتلك مسافة طويلة جداً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢-الارهاق الذي اصاب الجيش العثماني لقطعه مسافات طويلة حتى وصل الى بلاد الشام.

٣-كان سليم يخشى من عودة اسماعيل الصوفي الى محاربته من جديد.

مع كل ذلك حاول سليم استمالة (طومان باي) حاكم المماليك الجديد والذي اتخذ من مصر مقراً له حاول ان يستميله إذ عرض عليه حكم مصر بأسم الدولة العثمانية ويذكر أسمه في الخطبة ويكتب أسمه على النقود ، ولكن طومان باي رفض ذلك مما دفع سليم للتوجه الى مصر تحت الحاح خاير بك الذي خاف من استمرار السيطرة المملوكية على مصر ولأنه كان طامعاً بحكمها ووصل الجيش العثماني الى مصر وهزم المماليك في معركة (الريدانية) في ٢٣ كانون الثاني ١٥١٧م ودخل سليم القاهرة وخطب في جامعها ، ولكن دارت معارك عنيفة في الشوارع وانتقل طومان الى الجيزة فتبعه الجيش العثماني فهرب الى (اقليم البحيرة) والتجأ عند شيخ العرب الذي سارع بتسليمه الى سليم الذي في البداية استقبله باحترام وأراد أن يستفاد من خبرته في ادارة مصر لكونها منطقة غريبة عليه ، ولكن خايربك أوغر صدر سليم وأقنعه بخطورة بقائه فأصدر سليم حكماً بإعدامه وتم تنفيذ الحكم فيه وبذلك انطوت صفحة في تاريخ حكم المماليك.

عفا سليم عن بقية المماليك وأمر بعدم التعرض لهم وأبقاهم في وظائفهم وأوصى بعدم التعرض الى ممتلكاتهم كما أبقى شيخ قبيلة (هواره) في الصعيد وأرسل عدد من أصحاب الحرف والمهن الى استانبول من أجل تنشيط تلك الأعمال، وعين خايربك والياً على مصر وبعدها عاد سليم الى دمشق ووصلها في ٧ تشرين الأول ١٥١٧م وأدخل فيها التنظيمات وفرض الضرائب بحيث تتناسب بين الغني والفقير كما خفض سعر العملة العثمانية وشدد في حفظ الأمن وعين جان بردى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحاضرة التاسعة

السلطان سليمان القانوني ١٥٢٠م – ١٥٦٦م

تولى سليمان عرش الدولة العثمانية وكان حينها يبلغ من العمر (٢٦) عام ، إذ بلغت الدولة العثمانية في عهده أوج أتساعها وفي قمة التنظيم إذ امتدت من نهر الدانوب حتى الخليج العربي ، ومن أوكرانيا الى جنوب مصر والى الجزائر في الغرب ، وفي عهده تمت فتوحات كثيرة وبنى أسطول بحري كبير وازدهرت الولايات بكل أنواع العمارات والآداب والفنون وقصد (استانبول) العلماء ورواد الفن والصناع وأصحاب المهن وعُد من أعظم الملوك المعاصرين له عاصر الاكتشافات الجغرافية والنهضة الأوربية وكان أقوى من ملوك أوربا جميعاً وأشتهر سليمان بالتسامح والعدل وقضى على الخارجين على القانون وعلى الفساد وخفف الاجراءات القسرية على التجار وحمى أرواح الناس وأملاكها ومنع تسلط الموظفين على الناس وحدد حقوق الحكام ولذلك سمي بالقانوني ، فضلاً عن ذلك نظم مؤسسات الدولة لما يعرف (بقانون نامة) الذي شرعه الفاتح ولكن اضيفت له قوانين أخرى سنتناول فتوحاته بشكل مفصل من حيث الشرق العثماني وغربه وسنبدأ في الجهة الشرقية :

١ – القضاء على التمردات في بلاد الشام ومصر

ما أن علم جان بردي الغزالي (والي بلاد الشام) بوفاة سليم الأول تحرك للإنفصال عن الدولة العثمانية واعلان الاستقلال واتصل بخاير بك والي مصر ولكن خايربك وشى به لدى السلطان سليمان مما دفع الغزالي الى تنفيذ فكرته وأحتل قلعة دمشق وأرسل قوة لاحتلال بيروت فأرسل السلطان سليمان القائد (فرهاد باشا) الذي هاجمه وألقى القبض عليه وقطع رأسه عام ١٥٢١م وأرسله الى السلطان وتم تعيين (أياس باشا) والياً جديداً على بلاد الشام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما والي مصر (خاير بك) ، الذي مات عام ١٥٢٢م عين السلطان وزيره (أحمد باشا) والياً جديداً الذي طمح في منصب الصدارة العظمى وأستغل انشغال السلطان سليمان في حروبه في الجهة الغربية وأعلن تحالفه مع المماليك ، وأخذ يجزل اليهم الاقطاع وكسب تأييدهم وأعلن العصيان وأستولى على القلعة مما دفع السلطان الى ارسال أمراً بعزله وطلب عودته الى استانبول لكنه قتل الرسول والوالي الجديد ولكن تخلى عنه أتباعه فهرب الى عرب الصحراء ثم ألقي القبض عليه وتم اعدامه ، وعُين (سليمان قاسم باشا) والياً جديداً على مصر.

٢- فتح اليمن والسودان والساحل الأفريقي الشرقي

بعد سيطرة العثمانيين على مصر وبلاد الشام وخضوع الحجاز أوكل السلطان القائد المملوكي(الاسكندر الجركسي) على اليمن ليحكمها بأسمه لكن حدث صراع بين القادة المماليك في اليمن وبين القادة العثمانيين وفي النهاية أنتصر (حسين الروحي) آمر سنجق جدة ودخل الى زبيد في اليمن عام ١٥٢٣م لكنه أخفق في احتلال عدن إذ كان يحكمها (مرجان العامري) من أسرة بني طاهر التي حكمت اليمن منذ عام ١٤٤٥م.

عمت الفوضى اليمن واضطربت البلاد بسبب وجود أكثر من قوة كالمماليك وأسرة بني طاهر ووجود الزيديين ، فضلاً عن العثمانيين ففي عام ١٥٣٨م أرسل سليمان حملة الى الهند بقيادة (سليمان باشا الخادم) والي مصر لمحاربة البرتغاليين وكان حينها عمره (٨٠) عام وعندما وصل عدن فتح له أبوابها (عامر بن داوود الطاهري) ليساعده ضد الزيديين ولما سيطر أقدم على قتل عامر وتعيين حاكم جديد ، وبعد أن واصل طريقه الى الهند وفشله في هزيمة البرتغاليين عاد منكسراً وفي طريق عودته قتل حاكم اليمن وعين حاكماً عثمانياً وعد ذلك بداية الحكم العثماني ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إذ أطلق على حاكمها (باشا) عام ١٥٤٠م ولكن أستمر الصراع بين الزيديين والعثمانيين ورجحت الكفة للزيديين حتى عام ١٥٦٨م حتى قام سنان باشا بفتحها ثانية وعرف ذلك بالفتح العثماني الثاني لليمن وتم الاتفاق أن يحكم الأئمة الزيديين بأسم الدولة العثمانية.

أما الساحل الشرقي لافريقيا فقد أرسل السلطان سليمان أحد قادته وهو (سليمان أزدمر باشا) من استانبول الى مصر ، والذي استطاع السيطرة على النوبة السفلى التي سميت (بربرستان) ثم سيطر على (حبش) على البحر الأحمر وكانت تضم مينائي (سواكن ومصوع) عام ١٥٥٧م كذلك أخضع (زيلع) وتم تكوين ولاية (الحبش) من ارتيريا والتي عين عليها حاكماً عثمانياً وساعد سليمان على الفتح هو ذلك الانشقاق الديني في الحبشة بين اتباع الكنيسة الغربية واتباع الكنيسة الشرقية ، والتي على أثرها نشوب حرب أهلية أستمرت حتى أوائل القرن السابع عشر ولكن العثمانيين لم يستغلوا الأوضاع تلك واكتفوا بالساحل ولم يسيطروا على الداخل الارتيري لكنهم أتفقوا مع ملك الحبشة باغلاق الموانئ بوجه البرتغاليين.

٣- فتح العراق

بعد معركة جالديران ١٥١٤م وهزيمة اسماعيل الصفوي سيطرت الجيوش العثمانية على شمال العراق بما فيه (الموصل وديار بكر وماردين) وعينوا عليها حاكماً،أما بغداد فكان عليها حاكم يعينه الشاه الصفوي لكن هناك أسباب دفعت السلطان سليمان الى الاتجاه الى بغداد وانهاء الحكم الصفوي واهم تلك الأسباب هي :

١-قيام (ذو الفقار) حاكم مناطق (لورستان) بقتل حاكم بغداد الصفوي عام ١٥٢٤م ، وأعلن ولاءه للسلطان العثماني خوفاً من انتقام الشاه الصفوي (طهماسب).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢-اعلان حاكم (تفليس) التركي خضوعه للشاه طهماسب وبالمقابل أعلن حاكم تبريز انضمامه للعثمانيين.

٣-محاولة طهماسب اثارة القزلباش في شرقي الأناضول ضد الحكم العثماني.

٤-ارسال ذو الفقار وعدد من الوجهاء في العراق طلباً الى السلطان سليمان يطلبون منه النجدة لانقاذ العراق من حكم الشاه الصفوي.

٥-عدم ارتياح السلطان سليمان للعلاقة بين الشاه طهماسب وبين (شارلمان) ملك (آل هابسبرغ) واستقبال الشاه مبعوثي شارلمان عام ١٥٢٩.

بدأ الاحتكاك بين الدولتين عندما قام سليمان بأعدام جميع الأسرى من القزلباس الذين كانوا يقعون في قبضة الجيش الانكشاري ورداً على ذلك حرض الشاه على قيام تمرد في الاناضول بقيادة (قلندر جلبي) عام ١٥٢٧م ، وعلى أثر ذلك بدأ سليمان يعد ويجهز لحملته على العراق.

في عام ١٥٣٣م قام السلطان سليمان وصهره الصدر الأعظم (ابراهيم باشا) بقيادة حملة عسكرية وكان كل واحد منهما على رأس جناح الأول الذي كان بقيادة ابراهيم باشا سلك طريق الموصل ، والجناح الثاني بقيادة السلطان سليمان سلك طريق شهرزور ، وتم الاتفاق أن يلتقي الجيشان في أطراف بغداد الشمالية ثم الدخول اليها بجيش واحد وبعد أن قطعوا كل الامدادات عن الصفويين ، ودخل الجيش العثماني بقيادة السلطان سليمان الى بغداد في ٣١ كانون الأول عام ١٥٣٤م.

بعد دخول سليمان الى بغداد قام بجملة أمور ، منها أصدر أوامر بعدم الاعتداء على أي شخص وأهتم بالأماكن المقدسة وقام بزيارتها وترميم ماهدم منها ، كما أمر بزراعة البساتين وحقول القمح وعين حاكم دياربكر والياً على بغداد كما أبقى فيها قوة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عسكرية وهو توجه بقوة وأحتل تبريز مما اضطر الشاه الى طلب الصلح، فوافق سليمان مقابل تقديم الشاه الطاعة له فأخلى تبريز وغادر الى استانبول ووصلها في عام ١٥٣٥م ، كان فرض الدولة العثمانية سيطرتها على العراق قد مكنهم من السيطرة على الطرق التجارية التي تربط الشرق الأقصى باوربا عن طريق الخليج ، كما أنه أوجد لهم مسؤولية جديدة في الدفاع عن الخليج من الخطر البرتغالي الذي يتمركز في مضيق هرمز، وقسمت العراق الى أربع ولايات (بغداد والبصرة وشهرزور والموصل) ، ثم سيطروا على القطيف عام ١٥٥٠م ، والاحساء بعد عامين.

المحاضرة العاشرة

٤- فتح بلاد المغرب العربي (الجزائر ، تونس ، ليبيا)

بعد تحالف الممالك الاسبانية بعملية اخراج المسلمين من الاندلس عام ١٤٩٢م بل ومطاردتهم في البحر الابيض المتوسط ، أقام عدد من المسلمين من الاندلس مراكز لهم على الشاطئ الافريقي من أجل صد الهجمات الاسبانية ، ثم أنضم اليهم بحارة من مختلف المناطق الاسلامية ، بما فيها دول الشاطئ الافريقي ، وبدأت الدولة العثمانية بتقديم لهم مساعدات وأبرز هؤلاء البحارة هم (الأخوة باربروسا) أخيهم الأكبر (عروج) و (خضر) الملقب بخير الدين باربروسا أي ذو اللحية الحمراء وهم في الأصل من صحراء (آجه) في الاناضول ، كان أبوهم من عسكر السباهي وسكن جزيرة (مدللي) وهي جزيرة في بلاد اليونان.

قتل عروج على يد الاسبان عام ١٥١٨م ، وتولى خير الدين من بعده القيادة وكان خير الدين يعرف جيداً بأنه بمفرده لا يستطيع محاربة الاسبان إلا إذا حصل على دعم من طرف آخر فأشار اليه المقربون بأن يتصل بالدولة العثمانية لاسيما وأن الدولة العثمانية في ذلك الوقت كانت تتوسع وتضم دول المشرق العربي وفعلاً طلب خير الدين من السلطان سليم حينها ووافق على أن يعلن الخطبة بأسمه ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويكتب أسمه على العملة فأمده السلطان سليم بـ (٢٠٠٠) جندي انكشاري وخوله أن يطوع (٢٠٠٠) آخرين وتدفع الدولة مرتباتهم وتألف من تلك القوة ما يعرف بالأوجاق ومنه لقب (بيلربي) أي أمير الأمراء واستطاع خير الدين أن يجمع حوله القبائل ثم قام بمهاجمة القلعة الاسبانية أمام الجزائر عام ١٥٢٩م وتمكن من الاستيلاء عليها ويجعل منها مركزاً للانطلاق والقتال ما بين حوض البحر الابيض المتوسط الشرقي والغربي ، كما أن استيلاء السلطان سليمان عام ١٥٢٢م على جزيرة (روذس) واعلان البندقية الولاء له وتحالف ملك فرنسا (فرانسوا الأول) مع سليمان والذي طلب منه أن يحارب عدوهما المشترك (شارلمان) ملك المجر كل ذلك كان في صالح خير الدين وأتباعه في الدفاع عن شواطئ البحر الابيض المتوسط.

أما تونس كانت تعيش حالة من الصراع الداخلي ، وكانت رغبة خير الدين في فرض سيطرته عليها لذلك أوعز السلطان (سليمان) الى خير الدين بمهاجمة تونس بقوة كبيرة وسيطر عليها عام ١٥٣٤م وأعلن انهاء حكم (الحفصيين) وسبب سقوط تونس ذات المركز الاستراتيجي المهم اضطراباً لدى البابا والاسبان والامراء الايطاليين واستعد شارلمان لحملة كبيرة لاستعادتها واستغل انشغال العثمانيين بحرب الصفويين واعلان فرانسوا الأول (ملك فرنسا) حياده فهاجم شارلمان تونس بأسطول ضخم واسترجعها عام ١٥٣٥م ورداً على ذلك هاجم خير الدين (جزر البليار) التابعة لاسبانيا انتقاماً لفعلتهم في تونس وأسر ما يقارب ستة آلاف شخص بعد ذلك أصدر السلطان سليمان بتعيين خير الدين (قبطان باشا) أي قائد الاسطول العثماني، فضلاً عن بيلربي الجزائر.

مات خير الدين عام ١٥٤٦م ، وعين السلطان (حسن بيلربي) مكانه على الجزائر ثم توالى من بعده الامراء حتى وصل الأمر الى تعيين (العلج علي) ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وخلال تلك الحقبة أستولى (طرغوت باشا) على طرابلس عام ١٥٥١م وتوغل في تونس وهزم الاسبان أمام (جزيرة جربة) عام ١٥٥٩م ، وسيطر العلج علي على تونس عام ١٥٦٩م وأستطاع أن يأخذ البيعة للسلطان.

على أثر ذلك ، قام تحالف بين الاسبان والبنادقة الذين استطاعوا من الحاق هزيمة منكرة بالاسطول العثماني في معركة (ليبانتو) الشهيرة عام ١٥٧١م ، وفي عام ١٥٧٣م هاجم (دون جوان) شقيق الملك فيليب ملك اسبانيا تونس واحتلها وأقام فيها حامية لحماية السلطان الحفصي الموالي لهم فجهز العلج علي اسطولاً ضخماً وحاصر تونس من جميع الجهات (طرابلس والجزائر والقيروان) ودخلها عام ١٥٧٤م وأعلن انهاء حكم الأسرة الحفصية ونقل السلطان الحفصي الى استانبول، وضمت تونس نهائياً الى الدولة العثمانية.

أما ليبيا فكان يحكمها (فرسان القديس يوحنا) ، التي منحها لهم شارلمان عام ١٥٣٠م طلب حينها أهالي ليبيا من السلطان العثماني بتخليصهم من حكم المسيحيين فوافق السلطان وأرسل قوة بقيادة (مراد آغا) وكان انضمام طرغوت للاسطول عاملاً مهما في تعزيز الحملة ، ثم أنضم (سنان باشا) قبطان البحر ، وشكلوا قوة كبيرة هاجمت طرابلس ودكت معاقلها ودخلها الاسطول العثماني في آب عام ١٥٥١م ، وتم نقل فرسان القديس الى جزيرة (مالطا).

أما المغرب الأقصى فكانت حالة صراع بين السعديين الذين كانوا يحكمون (مراكش) وبين الوطاسيين حكام (فاس) ، حينما طلب الوطاسيين الدعم من سليمان مقابل الاعتراف بالتبعية اليه في عام ١٥٤٥م ، في حين محمد الشيخ زعيم السعديين رفض البيعة للسلطان وأعلن العداء للدولة العثمانية واستمر الصراع بين الجهتين (الوطاسيين والسعديين) وهاجم محمد الشيخ مناطق نفوذ الوطاسيين مدخل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(تلسمان) فلجأ سلطانها الى الاسبان الذين رحبوا بصراع المسلمين وأخذوا يغذون ذلك ولكن (حسن بيلربي) هاجم السعديين وقتل أولاد محمد الشيخ ودخل تلسمان عام ١٥٥٢م ، مما اضطر محمد الشيخ الى الاتفاق معهم على الحدود ولكن بعد الخلاف الذي نشب ضد الاتراك والاهالي استغل ذلك محمد الشيخ ودخل (فاس) عام ١٥٥٤م وأنتقم من أهلها ولقب نفسه بأمير المؤمنين ثم عاد الى مراكش وتعاون مع الاسبان ضد العثمانيين واحتل تلسمان بالتعاون مع الاسبان ولكن دبر (حسن بيلربي) حيلة قتل فيها محمد الشيخ ونقل رأسه الى استانبول والجدير بالذكر أن الطريقة التي أتبعها العثمانيون في سيطرتهم على المشرق العربي تختلف عن الطريقة التي اتبعوها مع بلدان المغرب العربي ، في المشرق كانت تتميز بالقوة والعسكرية والمعارك في حين بلدان المغرب تميزت بالدعم وعدم زج الجيش العثماني بشكل مباشر والسبب في ذلك أن المشرق كان يحكمه مسلمون أما المغرب فكان خاضع بشكل مباشر أو غير مباشر للحكم المسيحي والعثمانيون مسلمون والعلاقة الدينية هنا تفسر طبيعة السيطرة الى جوانب أخرى كأن تكون استراتيجية واقتصادية وصراعاً مع الاوربيين ، فضلاً عن ذلك ، هو تطلع العثمانيين لزعامة العالم الاسلامي وانهاء كل القوى والدول التي تحت حكم منافسين لها في تلك الزعامة.

فتوحات السلطان سليمان القانوني في أوربا

١ – فتح بلغراد

لم يستطع السلطان محمد الفاتح من دخول بلغراد بعد أكثر من محاولة ، ولكن السلطان سليمان استطاع أن ينجز المهمة مستغلاً انشغال اوربا بمشاكلها، لاسيما الصراع بين (شارلمان) امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة مع فرانسوا الاول ملك فرنسا وكانت بلغراد تابعة الى مملكة المجر ، أرسل سليمان رسولاً الى ملك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner